

آفة سوء الظنّ وآثارها الاجتماعية

تقديم

م. وسن لفته عبدالله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾

صدق الله العظيم

ونقرأ في نهج البلاغة قول الإمام علي عليه السلام : " لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً ، وأنت تجد لها في الخير محتملاً محملاً " .

سوء الظن من الذنوب والأمراض القلبية الخطيرة، والتي صرّحت بها الآيات بمواضع عديدة من القرآن الكريم، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، كما أوضحت الروايات أيضاً مفاصد ذلك الذنب وطريق الخلاص منه.

والمفهوم من سوء الظن هو: أنه إذا صدر من شخصٍ فعلٍ معيّن، فإنّه يحتمل الوجهين الصحيح والسقيم، فإذا حملناه على المحمل السقيم وفسرناه بالتفسير السيء كان ذلك إثماً، وموجباً للعقاب.

كما أنّ دائرة سوء الظن واسعة جداً ولا تنحصر في ممارسة العبادات فقط، بل تستوعب في مصاديقها ومواردها المسائل الإجتماعية والأخلاقية والإقتصادية والسياسية أيضاً، كما هو الحال في حسن الظن وسعة مجاله أيضاً، وهو وظيفة المسلم تجاه الآخرين.

ماهي أسباب سوء الظن؟ و ما هي طرق علاجه؟

التعاليم الإسلامية ترى أن الروابط الإجتماعية في مرحلة التفكير يجب أن تكون قائمة على أصول "حبّ الخير" و "المحبة و المودة" و "حسن الظن"، بمعنى أن المسلمين يجب أن تكون صفحة رؤيتهم و نيّتهم عن إخوانهم و أخواتهم في الدين حسنة و جميلة، فيجدر بالانسان المسلم أن يحمل في عقله و ذهنه صفة سلامة النية و النصيحة و الحبّ و ابتغاء السعادة للآخرين و يتجنّب التآمر و التواطؤ ضدهم.

أما في خصوص مورد السؤال فقد عبرت عنه تعاليمنا الدينية بعنوان "سوء الظن" و يمكن دراسة هذا المصطلح من عدة جهات:

١- معنى سوء الظن

سوء الظن و سوء التخيّل؛ يعنى الخيال و الفكر السيء نسبة لشخص ما. و بعبارة أخرى، سيء الظن، هو الإنسان الذي يتخيّل و يظن سوءً بأقوال الآخرين و أفعالهم و يري خياله حقيقة و يرتب أثراً عليه. فلو رأى رجلاً يتحدّث مع امرأة فيخطر بذهنه أن بينهما علاقة غير مشروعة و أن حوارهم هذا حوار غزل و... و في العمل يتعامل معه على إنه إنسانٌ خليع، فاسد، لا يتورّع عن النظر إلى غير المحارم و عندئذٍ يفقد الثقة به، فهذه الحالة تسمّى سوء الظن و صاحبها يسمّى سيء السريرة و سيء الظن و سيء التفكير.

٢- دائرة سوء الظن:

(١) سوء الظن بالله: سوء الظن بالله هي حالة اليأس من الرحمة الإلهية الواسعة، و التي تعد من الذنوب الكبيرة.

فقد روي عن النبي الاكرم (ص): “أكبر الكبائر سوء الظنّ بالله“ فعلى الإنسان المؤمن أن يخاف و يقلق من العذاب الإلهي و لكن في الوقت نفسه لا ينبغي له القنوط واليأس من الرحمة الإلهية، فيجب عليه العمل بواجباته و تكاليفه مع خلوص النية لله تعالى، و يخاف من ذنوبه كل ذلك مع رجائه و أمله برحمة ربّه.

عن الإمام الرضا (ع): “أحسن بالله الظن فإن الله عزّوجلّ يقول: أنا عند ظنّ عبدي إن خيراً فخير و إن شراً فشر”

ب) سوء الظن بالناس: سوء الظن بالناس هو أن يتخيّل الإنسان و يظنّ بأفراد المجتمع سوءً من غير أن يصدر منهم عمل غير يبرر سوء الظن بهم، ثم بعد ذلك يرتّب الأثر على وساوسه و أوهامه. و هذا النوع من إساءة الظن يعد من الصفات الرذيلة و من الذنوب شأنه شأن النوع الأول أي (سوء الظن بالله)، فعن أمير المؤمنين (ع): “سوء الظنّ بالمحسن شرّ الإثم و أقبح الظلم”.

ج) سوء الظن بالنفس: سوء الظن بالنفس هو أن يعتبر الإنسان نفسه دائماً مقصراً في مقابل أداء حقوق الخالق و المخلوقين، و هذا النوع من سوء الظن على خلاف - القسمين الأولين - ليس فقط لا يعد ذنباً بل يعتبر من الصفات البارزة و من خصال المؤمنين الخلّص، لأنه يستوجب سعياً أكثر في سبيل إطاعة و عبادة الله سبحانه و يحفظ الإنسان من الغرور و الغفلة.

عن أمير المؤمنين (ع): “إن المؤمن لا يمسي و لا يصبح إلّا و نفسه ظنون عنده فلا يزال زارياً عليها و مستزيداً لها”.

٣ - ذم سوء الظن في الإسلام:

سوء الظن يعتبر من الأمراض الأخلاقية الخطرة. فمن غطى غبار سوء الظن صفحة قلبه الصافية، لا يرى الآخرين على جمالهم و لا يمكنه درك الواقع، و قد حذر الإسلام أتباعه من هذه الصفة تحذيراً شديداً. فقد جاء في القرآن الكريم ”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أ يَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ“. و يقول في آية أخرى: “وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنهُ مَسْئُولًا”.

كما أن النبي الاكرم (ص) يقول: “إن الله تعالى حرّم من المسلم دمه و ماله و أن يظن به ظن السوء”.

و عن أمير المؤمنين (ع): “اجتنبوا سوء الظن بالآخرين، فإن الله قد نهى عنه”.

٤- أسباب سوء الظن

ما هي الأعمال التي تؤدي إلى إساءة الظن بالآخرين؟ بعبارة أخرى، ما هي أسباب إساءة الظن بالآخرين؟

في الجواب عن هذا السؤال يجب القول: بان أسباب سوء الظن على نوعين، تارة تكون الأسباب في الشخص الظانّ و تارة تكون في المظنون به.

أما ما كان في الشخص الظانّ فهي عبارة عن:

(الف) ابتلاء الإنسان السوء الظن بضعف و جريرة خاصة، تؤدي به إلى إساءة الظن بالآخرين. يقول الإمام علي (ع) في هذا المجال: “الشّرير لا يظنّ بأحدٍ خيراً لأنه لا يراه إلا بطبع نفسه”.

(ب) عدم الإيمان أو ضعفه يؤدي بالإنسان إلى سوء الظن، كما يقول الإمام علي (ع): “لا دين لمسيء الظنّ”. كما يقول (ع): “لا إيمان مع سوء الظنّ”.

(ج) اللؤم الباطني و الإبتعاد عن الأخلاق الحسنة و الشخصية الإنسانية يؤدّيان بالشخص إلى سوء الظن، حيث يقول الإمام علي (ع): “سوء الظنّ بمن لا يخون من اللؤم”.

أما المسائل التي تؤمن أسباب إساءة الظن في الطرف المقابل (المظنون به) فهي:

الف) وضع الشخص نفسه موضع التهمة: قد يضع الإنسان نفسه في معرض التهمة و سوء الظن من قبل الناس، أي يعمل عملاً يوجب إساءة ظنّ الآخرين به، فهذا العمل حرام في الإسلام، لأن الإنسان هنا بإرادته يعرض نفسه لتوجيه سوء ظنّ الآخرين له و يهيا مقدمات التهمة.

عن أمير المؤمنين (ع): “من وضع نفسه موضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن”.

(ب) مجالسة الأشرار:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار ومجالسة الأبرار للفجار تلحق الأبرار بالفجار، فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلى خلطائه، فان كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، وإن كانوا على غير دين الله فلا حظ له من دين الله إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يواخين كافرا ولا يخالطن فاجرا، ومن آخى كافرا أو خالط فاجرا كان كافرا فاجرا.

٥- أضرار سوء التفكير:

لسوء الظن تبعات مقيّنة تلم بالحياة الفردية و الإجتماعية للإنسان نشير إلى بعضها:

الف) الآثار الفردية

أولاً: العزلة و الابتعاد عن الناس: الحياة الإجتماعية قائمة على أساس الأُنس و الإلفة و الثقة المتبادلة بين البشر، فإذا ظن الناس بغيرهم سوءً تزول الثقة المتبادلة و يحل النفور و الابتعاد عن الناس محل الأُنس و الإلفة و يفرّ الشخص المسيء بالظنّ من الآخرين و يبتعد عنهم و يصبح وحيداً.

عن الإمام علي (ع): "من لم يُحسن ظنّه استوحش من كل أحد".

ثانياً: فساد العبادة: سوء الظن بالآخرين و ترتيب الأثر على ذلك، يفسد عبادة الإنسان و يتحفه بحمل ثقيل من الذنوب. عن الإمام علي (ع): “إياك أن تُسيء الظنَّ فإنَّ سوء الظنَّ يُفسد العبادة و يعظّم الوزر”.
فالإنسان عندما يسيء الظنَّ بالآخرين، يقضي بحقهم قضاءً باطلاً و يتبعه الكلام البذيء ضدّهم و إستغابتهم و اعتبار نفسه أفضل منهم. و أخيراً تكون نتيجة هذه الأعمال، الخواء و فساد العبادة و من جهة أخرى لو وضعنا هذه الصفات و الأعمال الرذيلة جنب سوء الظنَّ لثقل وزر هذا الإنسان.

ثالثاً: الهلاك: سوء الظن من الأمراض الروحية الخطرة، فالشخص الظانّ سوءً معذب دائماً يعيش المرارة و الألم في قلبه دائماً بسبب الأفكار و الخيالات الباطلة، و من هنا يقضي على سلامة نفسه شيئاً فشيئاً و بالنتيجة يهلك نفسه بسبب اليأس الناشيء من سوء الظن.

عن أمير المؤمنين (ع): “سوء الظنّ يردي مصاحبه و يُنجي مجانبه”

ب) الآثار الاجتماعية

أولاً: انعدام الثقة المتبادلة: سوء الظن، يُزيل الثقة الجماعية و يلوّثها و يذهب بأمن المجتمع بحيث لا تبقى ثقة و إطمئنان بين أفراده، فافراد المجتمع كلُّ ينظر إلى الآخر بعين الخيانة و يفرّ منه.

وقد رصد أمير المؤمنين (ع) هذه الظاهرة فحذر منها حينما قال: “شَرَّ النَّاسِ مَنْ لَا يَثِقُ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ، وَ لَا يَثِقُ بِهِ أَحَدٌ لِسُوءِ فَعْلِهِ”.

ثانياً: فساد الأعمال و تشجيع الآخرين على الشرّ: من آثار سوء الظن هو جرّ الأعمال الصالحة نحو الفساد،

لأن سوء الظنّ يؤدي إلى انعدام الثقة، الامر الذي يؤدي الى صدور ردود فعل معاكسة من الآخرين بحيث

يقوموا بتصرفات متصنّعة - لأجل جلب الثقة - تجرّ إلى الإخلال بأعمال الآخرين أو بإيجاد المشاكل و تعقيد

الأمر بدل الأفعال التي تنطلق من دواعي الشفقة و الحب للآخرين.

و بعبارة أخرى، سوء الظنّ، يجر الإنسان الصالح و المطمئن إلى استعمال الأساليب الخاطئة.

عن أمير المؤمنين (ع): “سوء الظنّ يُفسد الأمور و يبعث على الشرور”

الثالث: تدهور العلاقات الأخوية: سوء الظنّ بالأصدقاء، يسبب تدهور العلاقات فيما بينهم، و يعرض الصداقة و الإخوة إلى الزوال و الضياع. عن أمير المؤمنين (ع): “من غلب عليه سوء الظنّ لم يترك بينه و بين خليلٍ صلحاً”.

٦- طرق مكافحة سوء الظن

هناك عدة طرق للقضاء على سوء الظن نتناول شرحها الآن:

(الف) إصلاح النفس: سوء الظن يصدر من الأشخاص المذنبين الأشرار ذوي الطبيعة السيئة، و هذا يعني أن الأفراد الفاسدين المذنبين، يقارنون الآخرين بانفسهم و يرون انعكاس ذنوبهم و رذائلهم فيهم، لذلك يرون الجميع مثل أنفسهم لهم نفس خصالهم. فسيء الظنّ يتحتّم عليه للقضاء على هذه الحالة قبل كل شيء ان يهتم بإصلاح عيوبه، حتى إذا ما قارن الآخرين بنفسه، لا ينجر إلى سوء الظنّ بهم. من جهة أخرى، يجب عليه أن لا يفرض إن الآخرين مثله، فلعلّهم يملكون نفسية أفضل و أحسن. لذلك ليس من الجدير أن يجعل سيئاته ملاكاً لرمي المتهم للآخرين و يظن باخوته في الدين ظن السوء. إذن أحد طرق مكافحة سوء الظن هي إصلاح عيوب النفس.

عن أمير المؤمنين (ع): “يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس”

(ب) حمل عمل المسلمين على الصحة: إن القاعدة الكلية عن الأفراد المسلمين هي أن الفرد المسلم ظاهر الصلاح، ليس له أفكار سيئة و لا يأتي بالقبيح من الأعمال و ليس على ضلال، و بحكم الإسلام إنه منزّه من كثير من الرذائل و الأعمال القبيحة. لذلك فالأعمال التي يراها المسلمون من إخوتهم، يجب حملها على الصحة مهما أمكن و كان لها توجيهاً مقبولاً، كما يجب الإمتناع و التورّع عن حمل أعمال و أقوال الآخرين على غير الصحة. و هذا طريق آخر من طرق مكافحة سوء الظن.

عن الإمام علي (ع): “ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك و لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءً و أنت تجد لها في الخير محملاً”

(ج) إتياء التسرع: أحد طرق مكافحة سوء الظن هو إذا سمع الإنسان شيئاً عن أخيه المسلم عليه ألا يتسرع في القضاء و ترتيب الأثر. بل يصبر حتى يتأكد من صحة الخبر أو تكذيبه. فإذا اطمأن للتأكيد عندئذ لا بأس بترتيب الأثر.

عن النبي الأكرم (ص): "... و إذا ظننت فلا تقض ...". و عن أمير المؤمنين (ع): "أيها الناس من عرف من أخيه و ثقة دين و سداد طريق فلا يسمعنّ فيه أقاويل الناس أما إنه قد يرمي الرامي و يُخطيء السهام و يحيل الكلام و باطل ذلك يبور و الله سميع و شهيد".

(د) التأمل في اضرار سوء الظن: أحد طرق مكافحة سوء الظن هو، التأمل و التفكير في الإضرار الفردية و الإجتماعية المترتبة عليه.

٧- موارد جواز سوء الظنّ

هل إن سوء الظنّ مذموم دائماً؟

قد يخطر هذا السؤال في ذهن أحد و هو هل إن سوء الظن بأي أحد، و في كل وقت قبيح، أم أن هذا الأمر يختلف حسب الزمان و الأفراد؟

ففي الجواب يجب القول، أن ما جاءنا في الروايات هو إن سوء الظن قد يجوز في بعض المواقع بل قد يجب، نشير إلى بعض هذه المواقع:

الف) زمان غلبة الفساد: ففي المحيط الذي عم الفساد أكثر أفراده و شاعت فيه المعاصي و الذنوب، يكون حسن الظن في هذا المحيط عملاً غير منطقي و غير محبذ و قد يؤدي إلى خداع الإنسان و ضرره.

عن أمير المؤمنين (ع): “إذا استولى الفساد على الزمان و أهله، فأحسن رجلُ الظنّ برجل فقد غرر”

روي انه كانت لإسماعيل بن عبد الله (ع) دنانير و أراد رجل من قریش أن يخرج إلى اليمن فقال
إسماعيل: إن فلاناً يريد الخروج إلى اليمن و عندي كذا و كذا ديناراً فترى أن أدفعها إليه يبتاع لي بها
بضاعة من اليمن؟ فقال ابو عبد الله (ع): أما بلغك إنه يشرب الخمر؟ فقال إسماعيل: هكذا يقول الناس؟
فقال: يا بني لا تفعل. فعصى إسماعيل أباه و دفع إليه دنانيره فاستهلكها و لم يأت بشيء.”.

تجدر الإشارة هنا إلى إن الإنسان في هذا المحيط يجب عليه أن لا يرتب الأثر على سوء ظنه إلا فيما له
دخل بالموارد الاحتياطية، أي يجب عليه إضافة إلى رعاية الاحتياط، عدم التظاهر بالأعمال التي يفهم
منها سوء الظن و عدم الثقة بالأفراد. و بعبارة أخرى يتحتم عليه أن يكون حذراً ذكياً في هذه الموارد و
يراعي الاحتياط حتى لا ينخدع.

ب) بعد الصلح مع العدو: حسن الظن بالعدو بعد الصلح يدل على السذاجة و عدم الحنكة. فالمسلم يجب أن يكون دائماً حذراً ذكياً لا يخدع بأحابيل خصمه، فقد يكون صلحهم حيلة جديدة لإغفال المسلمين و التسلّط عليهم.

عن أمير المؤمنين (ع): “الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربّما قارب ليتغفل فخذ الحزم و اتّهم في ذلك حسن الظن”.

ما يلزم قوله هنا، إن حسن الظن بالفاسق لا مجال له حسب القاعدة، طبعاً الفاسق المتجاهر بالفسق، لأن الثقة بالشخص الذي يخالف الله جهرة و بكل جراه و جسارة أيضاً تعبّر من السذاجة.

اللّٰه

يَحْفَظْكُمْ

وَيَسْعِدْكُمْ

وَيُوفِّقْكُمْ
اَيْنَمَا كُنْتُمْ

Virtual Live concert.

شكرا جزيا